القضايا الوطنية والقوميّة في شعر " محمد الأخضر عبد القادر السائحي "

– دراسة موضوعيّة فنية –

National and national issues in the poetry of Muhammad Al- Akhdar Abdel qader A-sahihi

– Technical objective study –

*د. وداد غلوج

جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس، (الجزائر)، w.ghelloudj@univ-soukahras.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/12 تاريخ القبول: 2024/06/01 تاريخ النشر: 2024/12/27

ملخص: إنّ الهدف المرجو تحقيقه من هذه الدراسة يكمن في إزالة الغبار عن ظاهرة الالتزام، التي تعدّ من أهم المسائل التي اهتمّ بها الدارسون والنقاد في الأدب العربي المعاصر، والكشف عن أبرز الموضوعات التي عبّر فيها الشاعر " محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي" عن أحداث وطنه السياسية والاجتماعية غير متجاهل لقضايا أمّته، الذي أبرز من خلالها حرصه على انتمائه العربي، كما تحاول البحث في الجوانب الدلالية والجمالية وتأثيرها في المتلقي.

ومن غير شك أنّ نتائج هذه الدراسة قد دلّت على التوافق الفنّي المضموني ضمن إشكالية الالتزام.

كلمات مفتاحية: الالتزام، الشعر الجزائري، محمد الأخضر عبد القادر السائحي، الفنّي.

Abstract:

The desired goal of this research is to remove dust from the phenomenon of commitment, which is one of the most important issues that scholars and critics have been interested in contemporary Arabic literature, And revealing the most prominent topics in which The poet " Muhammad Al-Akhdar Abdel qader AL-Sahihi" expressed the political and social events of his homeland, without ignoring the issues of his nation, through which he highlighted his keenness on his Arab affiliation, It also attempts to research the semantic and aesthetic aspects and their impact on the recipient.

There is no doubt that the results of this study indicated the technical and content compatibility within the problem of commitment.

Keywords: Commitment; Algerian poetry; Muhammad Al-Akhdar Abdel qader AL-Sahihi; artistic**.**

***المؤلف المرسل**: د. وداد غلوج، **الإيميل**: w.ghelloudj@univ-soukahras.dz

1. مقدمة:

الشعر هو تلك التجربة الانفعالية الخلاقة، التي يحاول الشعراء من خلالها إيصال ما يختلجهم من مشاعر إلى المتلقي في شكل منمّق وبديع، وبلغة متينة تؤدّي فيها الصور والخيالات دورًا كبيرًا في تعميق الفكرة.

ومن غير شك أنّ المتصفّح للمسار الشعري الجزائري في العصر الحديث يتوقّف عند مجموعة من الشعراء الذين سخّروا شعرهم لرفع صوت وطنهم وأمّتهم عاليًا، مصورين الظلم والتعسّف والضياع والاستدمار الذي كانت تتخبّط فيه البلاد آنذاك.

ومن هؤلاء الشعراء الذين برزوا على الساعة الأدبيّة " محمد الأخضر عبد القادر السائحي " الذي خصّص إنتاجه الشعري لموضوعات مختلفة عبّر فيها عن أحداث وطنه السياسية والاجتماعية غير متجاهل لقضايا أمّته، والذي أبرز من خلالها حرصه على انتمائه العربي. ممّا يضعنا أمام إشكالية جوهرية نلخّصها في السؤال الآتي:

هل استطاع الشاعر أن يوفّق بين متطلبات الجانب الفنّي ومتطلبات الالتزام؟ ليكون شعره في الأخير قصائد مفعمة بمضامين وطنية وقومية ذات طابع جمالي.

يكمن الهدف المرجو من هذه الدراسة في نفض الغبار عن ظاهرة الالتزام في شعر " محمد الأخضر عبد القادر السائحي"، المصوّر للتاريخ النضالي المجيد لوطنه الذي عانى ويلات الاستعمار ردحًا من الزمن، بالإضافة إلى قضايا الأمّة العربيّة وعلى رأسها القضيّة الفلسطينيّة، محاولين الوقوف على الجانب الدلالي، وإبراز أهم الأبعاد الفنية التي توسّل بها الشاعر لتحقيق بنية نصية مؤثرة وتحليلها في ضوء المنهج الوصفي.

ممّا لاشك فيه أنّ الالتزام commitment في أصله ومعناه مصطلح فلسفي يعني مشاركة الأديب في شؤون عصره ومجتمعه، ولا أن تكون هذه المشاركة فعّالة ونابعة من وعي تام، وأن تكون له رسالة وغاية، أي أن ثمة علاقة تفاعل بالتأثير والتأثر قائمة بينه وبين مجتمع، "ويقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكّر أو الأديب أو الفنان فيها. وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكّر لأن يحافظ على التزامه دائما ويتحمّل كامل التبعة التي يترتّب على هذا الالتزام "[1].

وهو مدى التزام الأعمال الأدبية بالمعايير الاجتماعية والأخلاقية والجمالية. ومن المعروف أن الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية والجمالية للأدب قديمة قدم الأدب نفسه، وأن ثمة ميلاً إنسانياً قديماً ومقيماً للاهتمام بوظيفة الأدب، وتوجيهه لمصلحة الفرد والمجتمع والوطن والإنسانية والمعتقد. والالتزام في النقد الأدبي يعني: " أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد،أو مبدأ من المبادئ،أو فلسفة من الفلسفات "[2].

ويعدّ " محمد الأخضر عبد القادر السائحي" أحد أهم الشعراء الجزائريين الذين أسهموا في ربط الشعر بالمجتمع والقضايا الإنسانية والوطنية، حيث جعل الهم الإنساني ضمن اهتماماته وسخر شعره وموهبته لخدمة مصلحة الفرد والمجتمع وإصلاح كل ما هو فاسد من الأوضاع الاجتماعية، ومساندة القضايا العربية، وعليه فقد طغى الالتزام في شعره بكل وضوح في أغلب قصائده، لأنّ هدفه تمثّل في إيقاظ الضمير العربي، ودفع الناس إلى التغيير نحو الأفضل، والدفاع عن الشعوب التي تعاني من الآلام، وخلق مجتمع يسوده العدل والمساواة خال من الظلم، لذا نجد أن توظيف الالتزام في شعره مسألة لها مكانة متميزة لا بد من الوقوف عندها.

2. مفهوم الالتزام:

1.2 الالتزام لغة:

ورد في لسان العرب " لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما ، ولازمه ملازمة ولزاما ، والتزامه ، وألزمه إيّاه فالتزمه، ورجل لُزمة يلزم الشيء فلا يفارقه. واللّزام: الملازمة للشيء والدوام عليه، والالتزام الاعتناق"[3].

و"لزم الشيء: ثبت ودام ، لزم بيته: لم يفارقه ، لزم بالشيء : تعلّق به ولم يفارقه ، التزمه: اعتنقه ، التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه، التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه"[4]؛ أي إن الالتزام يعني الاعتناق والترابط والتعاقد.

والالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب: " هو اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معيّنة عن الإنسان ، لا لمجرّد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال"[5].

وقد جاء في الآية الكريمة : "وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها "[6]

2.2 الالتزام اصطلاحا:

جاء في المعجم الأدبي أن مفهوم الالتزام هو: "حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية ، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير خارجيا عن هذا الموقف بكل ينتجه الأديب أو الفنان من آثار ، وتكون هذه الآثار محصلا لمعاناة صاحبها ولإحساسه العميق بواجب الكفاح ، ولمشاركته الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام"[7].

وتعدّ قضية الالتزام في الأدب قديمة جديدة، ومفهومه وإن واكب المسيرة الأدبية عبر مراحلها الزمنية؛ إلا أنه كمصطلح لم تحدد مفاهيمه الفكرية والأدبية إلا في العصر الحديث، مع ظهور المدارس النقدية وخصوصا مع التيار الوجودي والواقعية الاشتراكية"ولعل ذلك ناتج عن تطور المفاهيم الأدبية ذاتها إذ يرتبط مفهوم الالتزام بمفهوم الأدب القائم على الصلة بالحياة "[8]، والتي أرتبط إبداع الأديب بواقع المجتمعات وتحريرها، فأصبح الأديب وثيق الصلة بالحياة الاجتماعية، مستمدا مضمون إبداعه منها، ومدافعا عن مطالبها وحامي حماها، وجعل الأدب صورة معبرة عن واقع الحياة.

عرّف (جان–بول سارترJean-Paul Sartre) الأدب الملتزم بقوله: " مما لا ريب فيه أنّ الأثر المكتوب واقعة اجتماعيّة، ولا بدّ أن يكون الكاتب مقتنعا به عميق اقتناع، حتى قبل أن يتناول القلم. إنّ عليه بالفعل ، أن يشعر بمدى مسؤوليته ، وهو مسؤول عن كلّ شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة، عن التمرّد والقمع. إنّه متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطّهدين"[9]. وبالتالي فإن سارتر يشير إلى العلاقة الوطيدة بين الأديب والمجتمع الذي يعيش فيه، وكيف تحدد مدى التزام الأديب.

ويشير (سارتر) إلى الدّور الكبير الذي يلعبه الأدب في مصير المجتمعات، فالأدب مسؤول عن الحرية، وعن الاستعمار، وعن التطوّر، وكذلك عن التخلّف. فالأديب ابن بيئته، والناطق باسمها، وكلمته سلاحه، فعليه تحديد الهدف جيدا، وتصويبها عليه بدقّة ، فـ " الكاتب بماهيته وسيط والتزامه هو التوسّط"[10].

وهنا يبرز هدف الالتزام في جدّة الكشف عن الواقع، ومحاولة تغييره، بما يتطابق مع الخير والحقّ والعدل عن طريق الكلمة التي تسري بين الناس فتفعل فيهم على نحو ما تفعل الخميرة في العجين[11] على ألا يقف الالتزام عند القول والتنظير ، فالفكر الملتزم في أساس حركة العالم الذي يدور حوله على قاعدة المشاركة العملية لا النظرية إذ: ليس الالتزام مجرّد تأييد نظري للفكرة، وإنّما هو سعي لتحقيقها، فليست الغاية أن نطلق الكلمات بغاية إطلاقها. كما إن الالتزام يجعل الأدب غيرياً، مرتبطاً بالآخر، منشغلاً به ينبض بهمومه وأحاسيسه، ويعيش أفراحه وأحزانه بدلاً من انغلاقه على ذاته، واجتراره مشاعر فردية، إنه الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع، وهي ليست علاقة أخذ أو عطاء ولا علاقة انصهار أو ذوبان وإنما علاقة تطابق[12].

والجدير بالذكر أن موجة الالتزام الوجودية طغت على الأدب العربي في الخمسينات وأوائل الستينات من القرن العشرين، وحاول كثير من الكتّاب العرب صياغة إنتاجهم القصصي على النمط الوجودي، وترجمت معظم المؤلفات الوجودية، ونشرت في الصحافة الأدبية العربية عشرات المقالات حول الوجودية وفكرها وأدبها.

والالتزام ليس قيدا يحد من حرية الأدب كما يرى معارضوه، وإنما هو اختيار نابع من ذات الأديب ومن قناعته، فلا يحد من حريته ولا يقلّل من إمكانية تحليقه في الفضاء الإبداعي من كلا جانبيه المضمون والشكل.

فالأدب الملتزم هو سابق على محاولات المحدثين، وقد وجدنا قديما الأدب يتجسّد في مشاركة الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسيّة، ومواقفهم الوطنيّة، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلّبه ذلك إلى حدّ إنكار النّفس في سبيل ما يلتزم به الأديب شاعرا أم ناثرا[13].

3. القضايا الوطنية في شعر " محمد الأخضر عبد القادر السائحي ":

نال مفهوم الوطن في الشعر الحديث أهمية بالغة، وقد عالج الشعراء قضايا الوطن من خلال أشعارهم، واقترحوا حلولا، ودعوا إلى الوحدة، فالشاعر بكلامه يلامس المشاعر ويحرك الأحاسيس، فمثل الصوت المثقف الواعي الذي لا يستطيع أحد إخفاءه.

وقد لجأ " محمد الأخضر عبد القادر السائحي " إلى إثارة بواعث الانتماء الوطني، ليوطد العلاقة بالوطن، فالعلاقة بالوطن هي علاقة مصيرية، ومن غير شك أنّه أبرز ذلك من خلال تحدثه عن قضيتين مهمتين هما: ثورة التحرير، وثورة البناء، والتعمير بعد الاستقلال.

1.3 ثورة التحرير:

إنّ الثورة الجزائريّة ثورة عملاقة، صهرت الإنسان الجزائري فانبرى يُنافح عن وطنه، ويُضحّي لاسترجاع سيّادته، وبعثت في الأمّة حياة تتغذّى من القيم الإنسانيّة، والنضاليّة التي حملت لواءها ثورة المليون شهيد التي كانت مصدر إلهام شاعرنا، على اعتبار أنه عاش بعض أحداثها وتأثّر بها، يقول في قصيدة " الأبكم" منددًا بظلم الاستعمار[14]:

قتّل، ودمّر، وردع أنت الذي لا يراع
زجّر، وعربد، وزعزع ما العيش إلا صراع.
واحرق وبدّد، وقطّع إنّ الحياة اختراع

في هذه الأبيات خطاب موجّه من الشاعر إلى أبناء وطنه، يدعوهم فيه إلى الالتفاف حول بلدهم، وصيّانة الحقوق التي داسها المستعمر، مستعينا في ذلك بأفعال الأمر (قتّل، دمّر، روع / زجّر، عربد، زعزع، احرق، بدّد، قطّع)، العاكسة للفعل الثوري السريع في ساحة الوغى، كما جسّد لنا آثار الظلم، والغبن الذي سلّطته فرنسا على الجماهير الشعبية بفعل القتل، والحرق، والتعذيب، وانطلاقا من هذه المواصفات نفهم أسباب ثورته وغضبه، فهو يثور من أجل الثأر لشقاء شعبه.

وممّا لا ريب فيه أنّه قد أكثر من أفعال الأمر ليبرز لنا مدى إعجابه، واعتزازه ببطولات الشعب الجزائري، وتصديه للغزاة

لقد طغى على شعر "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" الوعي الوطني والحس الثوري، إذ نجده يهتف بالجزائر التي اكتوى بنار حبّها، وبثورتها العظيمة، وبشعبها الثّائر الذي انتفض ضدّ قوى الشّر لينجز أعظم ملحمة تاريخية شهدها العالم في القرن العشرين. يقول[15]:

عشْ بين قصفِ الرعود عشْ النداء الرهيب
عشْ قاهرًا للنكود للظلم، ظلم الكروب
عشْ ثائرًا لن ينادي ألا بكوا واستراعوا

استطاعت الثورة الجزائريّة « أن تجعل من المستحيل ممكنًا في تاريخ النضال العربي بل الإنساني، بتحدّيها لأقوى دولة استعماريّة في ذلك الوقت بقوّة صمودها، وعظيم تضحيّاتها، فقد تركت بالغ الأثر في نفوس الشعراء بما أثارت فيهم من مشاعر الاعتزاز والفخر ببطولات الثائر الجزائري أمام جحافل جنود الاستعمار المدجّج بأعتى أسلحة الدّمار »[16]، لذلك مجّد الشاعر قوّتها، مؤكّدا أنّها لا تُهزم كما توهّم أعداؤها الخونة.

يُلمس من قراءة هذه الأبيات أنّ الشاعر قد وصل إلى قمّة ثورته، ودعوته التحرريّة، من خلال خطابه الصّريح الموجّه إلى أبناء شعبه، الذي يدعوهم فيه إلى الجهاد بغية تحقيق إحدى الفضليين، إمّا نصر وحرية، وعيش كريم، وإمّا شهادة بكلّ شمم تغيظ المعتدي وتؤلمه، وتلك هي «مهمّة أصحاب الكلمة ليست أن يُقاتلوا، وقد يفعلون، بل أن يصوغوا وجدان المقاتلين، وهذا هو دورهم الخطير »[17].

تنحو الصيّاغة اللغويّة للأبيات منحى خطابيّا مباشرا؛ لأنّ الشاعر حينما أراد أن ينبّه المخاطَب (**الشعب الجزائري**) إلى الخِطاب الموجّه إليه، استعمل أساليب طلبيّة كالأمر في قوله: (**عِشْ** بين قصف الرعود، **عِشْ النّداء، عِشْ** قَاهِرًا، **عِشْ** ثَائِرًا)، ليحفّز أبناء شعبه على الثورة، والانتفاضة ضدّ القهر، والظّلم، والعداون، ولا شكّ أنّ هذه الأفعال قد ناسبت حالته الشعوريّة الثّائرة، وأوصلتها إلى ذهن المتلقي، وإلى جانب تلك الأفعال جنح إلى تكرار الفعل (عِشْ) أربع مرّات ليبرز مدى اعتزازه ببطولات الشعب الجزائري وتصديه للمستعمر، وبذلك كان شعره أداة فعّالة حاول من خلالها أن يغيّر واقع الجزائر المرير.

ويولي الشاعر اهتمامًا بالغًا بالأماكن التي اشتعل فيها فتيل الثورة، كالأوراس الأشم، الذي هتف في ليلة (نوفمبر) بميلاد فجر جديد هو فجر الحرية. يقول[18]:

حطِّمُوا الأغلال في كل النواحي
واضرمُوا النيران من نور الجراح
تسطع الشمس نضالا
يتحدَّى البغي في كل البطاح
هكذا غنى لنَا الأوراس في فجرِ (نفمبر)
فولِدنَا وبُعثنَا منْ جديد

شكّل جبل أوراس، في هذه الأبيات نقطة تحوّل في تاريخ الشعب الجزائري، أيقونة دالّة على صلابة الثورة التحريرية وشموخها، وقوّة أبطالها المغاوير الذين ضحّوا بالنّفس والنّفيس لنصرة وطنهم المغتصب، « فالأوراس عند الشاعر الجزائري هو رائحة التراب، وأصالة الوطن، وتضاريس الواقع الثوري الذي يمتد من أعماق الجرح إلى آهات القصيدة، ويتحرّك الأوراس في المكان من خلال وعي له ويتحرّك في الزمان من خلال وعي الشاعر لذاته»[19]، وممّا لا ريب فيه أنّ الشاعر قد وظّف هذا الرمز، أوراس، ليؤكّد للمتلقي أنّ تلك الليلة كانت « بمثابة البرزخ الفاصل بين زمن العبودية والهوان وزمن الحرية والانعتاق»[20].

2.3 ثورة البناء والتعمير:

تعدّ الحرية حقًّا مشروعًا لكلّ شعب، وأمّة، ومطلب إنساني، وحلم جميل لطالما تمنّاه الشعب الجزائري المضطهد، ألم يقل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه " متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارًا "، وبالتالي يبقى السؤال المطروح الآن: هل هذه النهاية أم أنّ استقلال الجزائر واسترجاع كرامتها هو البداية؟

كان الشاعر "محمد الأخضر السائحي" لسان أمته الناطق بها، حيث انتقد الفساد والمفسدين في البلاد من شعب وحكام، كما تغنى بإنجازات الثورة الجديدة بما في ذلك التصحيح الثوري في 19 جوان 1965 فيقول في قصيدته في "ذكرى 19 جوان " المؤرخة سنة 1966[21]:

(يونيو) أيا شهرَ الخلودِ وطيف أحلام القلوب
أنتَ الحياة لموجة الأمجاد في الوطن الحبيب.
يونيو وما (يونيو) سوى يومٌ جميلٌ مستجيب
ستظلُ يومًا خالدًا رغم العدا رغم الكروب
ستجيئ بالأحلامِ بالأملِ البعيدِ إلى الشعوب

نوّه الشاعر في هذه المقطوعة باسترجاع السيّادة الوطنيّة، ونيل الاستقلال، هذا الأخير الذي حمل في طيّاته معاني الفرح والسّعادة، وعمّ ضوء الفجر ربوع الوطن فتلاشى الظلام بعد معاناة كبيرة.

إنّ القصيدة نموذج من الشعر الحر، وهذا ما يبيّن مظهر من مظاهر التجديد على مستوى الشكل في شعر محمد الأخضر السائحي، أمّا من حيث المضمون فقد أبرز الشاعر مدى حبّه القوي لوطنه، وانبهاره بما أحدثته الثورة من تغيير، بالإضافة إلى اعتماده على الوحدة العضويّة حيث جاءت الأسطر الشعريّة شديدة التّرابط والتّلاحم، ممّا جعل المقطوعة كالبناء المتراص.

حاول الشاعر في هذه الأبيات أن يرسم لوحة فنية عن الثورة الجزائريّة بكلّ أبعادها موظّفا لذلك صور بيانية منها، الكناية عن موصوف تجذّر الأمل في الحرية لدى الشعب الجزائري وبالتحديد في قوله: (يونيو... ستجيئ بالأحلام بالأمل البعيد)، ومن غير شك أن سرّ بلاغتها يكمن في تقديم الحقيقة مصحوبة بالدليل، والبرهان (الحلم والأمل).

نخلص في نهاية المطاف إلى أنّ « الثورة الجزائريّة قد برهنت للشعوب المستضعفة أنّ الحرية لا تعطى، بل تفتك بالنار والحديد، وأنّ طريقها محفوف بالموت، وهو الطريق الوحيد الذي يقود إلى بر السلام »[22]، لذلك وجدنا الشاعر "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" يتغنّى بها في شعره، مصّورا فرحته بنيل الاستقلال الذي لم كان محض تنازل من المستدمر، بل محصّلة تلاحم فطري بين أبناء الشعب الجزائري، الذي هبّ كرجل واحد لتحقيق الهدف المنشود.

3.3 القضايا القومية في شعر "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" (القضية الفلسطينية):

لقد خصّص الشاعر إنتاجه الشعري لموضوعات مختلفة عبّر فيها عن أحداث وطنه السياسيّة والاجتماعيّة غير متجاهل لقضايا أمّته، والذي أبرز من خلالها حرصه على انتمائه العربي، ومنها القضية الفلسطينية التي شكّلت موضوعا قائما بذاته، لما لها من مكانة دينية وتاريخية وحضارية، فهي تحتل مركز ثقل القصيدة الجزائرية، وتهيمن على نسيج الخطاب الشعري، أين توحي بالثورية والجهاد، لاسيما تلك القصائد التي تزامنت مع سنوات الانتفاضة.

فالسائحي" أخذ على عاتقه عبء الهم الوطني والهم العربي، فعاش القضيتين معا؛ ثورة وطنه، وجرح فلسطين الدامي، فها هو في قصيدته "صرخات المسجد الأقصى" يشكو إلى الله تعالى عذاب القدس وآهاته وسط لهيب الاستعمار الذي يذيب الحجر. يقول[23]:

رباه

في القدس في وسط اللهيب

تبكي وتوغل في الحنين وفي النّحيب

وتذيب في آهاتها شكوى إلى الله العظيم

صرخات مسجدك المقدّس يا رحيم

تترجم لنا هذه الأبيات مدى حزن الشاعر وحسرته على خراب المسجد الأقصى عنوان النّضال العربي والإسلامي، ورمز الوحدة، ودليل تشتت العرب وخضوعهم للظلم والأعداء، وممّا لا شكّ فيه أنّه أراد أن يلفت انتباه الشعوب العربيّة إلى ما تعانيه فلسطين، وما يجب عليها فعله لمساندتها، لذلك جاء معجمه اللّغوي حافلاً بالألفاظ الدّالة على مظاهر الحزن، والألم مثل: (**اللهيب، تذيب، تبكي، النّحيب، شكوى، آهات، صرخات**،...) ليمنح تجربته الشعريّة صدقًا ويكسبها بعدًا عميقًا يؤثّر في المتلقي.

ولعلّ ظاهرة **التكرار** التي جاءت في المقطوعة قد ارتبطت بحالة الشاعر النفسيّة، وبموقفه الذي يريد تأكيده حينما سيطر عليه الحزن والحسرة شدّنا بموسيقاه المتمثّلة في المدود الصوتية؛ حروف المد (**الألف، والواو، والياء**)، والتي جاءت مكرّرة في المقطوعة، وبخاصّة في نهايتها، فالألفاظ (**اللهيب، النّحيب، العظيم، رحيم**) قد حقّقت وظيفة نغميّة حزينة تحمل في طيّاتها آلامًا كبيرة.

ويتّخذ الشاعر من صورة استشهاد أطفال فلسطين دليلاً على وحشية الصهاينة المتعطّشين للدّماء، وفرصة للتعبير عن معاناتهم المستمرة، وضيق حالهم، وشاهدًا على تهاون العرب وتخاذلهم. يقول[24]:

يا طفل فلسطين

في كل مكان أنت به الضحية

فملاجئنا ظاهرة وخفية

أكتب: ما ذنب الأطفال الصغار

حتى تبكي أعينهم من أوساخ العار

مسكين طفل في وضعي

عرفت قدماه ملايين الأوضاع

أنشد الشاعر في هذه المقطوعة بكاءً في رثاء أطفال فلسطين، مصرّحًا بكلّ ثناء أنّ استشهادهم قد ترك جرحًا داميّا في جسده لن يندمل إلاّ باستقلال وطنهم، مؤكّدًا أنّ تخاذل العرب وحكامهم قد أسهموا في ضياعها وموت أطفالها بغير ذنب من جهة، وتشردهم من جهة أخرى.

وبهدف تقوية المعنى وتأكيده استعان الشاعر بجملة من الأساليب الفنيّة والبلاغيّة التي من شأنها التأثير في المتلقّي، ومن بينها توظيفه للأساليب الإنشائيّة الطلبية **كالنّداء** بـ (**الياء**) في قوله: (**يا طفل فلسطين**) للدّلالة على توجّعه لما آل إليه أطفال فلسطين من اضطهاد، والغرض منه الحسرة، وكذلك **الاستفهام التعجّبي** في قوله: (**ما ذنب الأطفال الصغار**)، والغرض منه الحيرة والشك.

ونجد الشاعر يصف حالة التفكّك والضّياع التي تعيشها فلسطين بسبب تخاذل الحكام العرب بقوله[25]:

وتسللت أفعاه

تزرع سمها

في قلب أمتنا

وقومي ...

يشربون الكأس مترعة الهوى

أين الهوى والخزي يتبع ظلنا

يا فلسطين

التي عرت قذارتنا

ندّد الشاعر في هذه المقطوعة بخذلان الحكّام العرب، وتخليهم عن عروبتهم، وقوميتهم، وبقائهم مكتوفي الأيدي، غير آبهين بصرخات إخوانهم الفلسطينيين وآهاتهم التي دوّت في الكون، « فالشعراء حينما يعبّرون عن قضيّة سيّاسيّة يعاني منها شعب من الشعوب لا يفعلون ذلك اعتباطًا وتلهيّة، بل يقومون بذلك لأنّه واجب عليهم، ولأنّه الإسهام الوحيد الذي يستطيعون به خدمة الإنسان »[26]، وهذا ما يدل على التزام شاعرنا بقضايا أمّته العربيّة، ومدى سعيه في سبيل تحقيق أهداف إنسانيّة ساميّة.

وليبيّن الشاعر حبّه الكبير الذي يكنّه لفلسطين، وظّف العديد من الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة التي تمثّلت في الاستفهام بقوله: (**أين الهوى والخزي يتبع ظلنا**) والغرض منه إبداء الحسرة. والنّداء في قوله: (**يا فلسطين التي عرّت قذارتنا**) للدّلالة على توجّعه لما آلت إليه القدس من اضطهاد وإذلال بسبب تخاذل الحكّام العرب.

كما استعان الشاعر في قوله: (**يا فلسطين**) بالمجاز المرسل، وعلاقته مكانية، حيث ذكر المكان، وأراد به الشعب الفلسطيني وهو نداء معنوي، غرضه الافتخار والاعتزاز بفلسطين وشعبها، ولعلّ غرض الشاعر من توظيفه هو شدّ انتباه المتلقي ليزداد تمعّنا في أبياته الشعريّة.

ويواصل الشاعر تحسره على حكام هذا العصر بقوله[27]:

آه يا حكام الزمن النحس

مازال أبي جرحا نازف الدم

الشهداء ترددد:

"يا ليل الصب متى غده "

موعده "

إنّ قارئ هذه الأبيات يُدرك لا محالة أنّ الألم، والحسرة ينتابان ذات شاعرنا على إنّ الحكام في نظر الشّاعرهم وجوه شؤم ونحس، كما يضم توجعه لتوجع أبيه الذي يرمز به إلى فلسطين الحبيبة التي تعاني ويلات الاحتلال، وفي البيت الأخير يتساءل

عن موعد تحرير فلسطين، هل سننتظر الموعد المنتظر والغدا المشرق إلى يوم قيام الساعة؟ وخلف هذا التساؤل دعوة إلى الثورة والتضامن بين الشعوب العربية وحكامها للظفر بفلسطين وعودتها حرة مستقلة.

وظّف الشاعر في هذه الأبيات التناص الأدبي، مستحضرًا مطلع قصيدة الليل الصب "لأبي الحسن الحصري القيرواني" التي كان يحدّث فيها الليل عن نفسه بصيغة الغائب. يقول:

يا ليْلُ الصبُّ متَى غدُه؟ أَقِيَّامُ الساعة مَوْعِدُهُ؟

إنّ صدر هذا البيت الذي اشترك فيه الشاعران " أبو الحسن الحصري القيرواني ومحمد الأخضر عبد القادر السائحي " يجعلنا ندرك أنّهما ينتظران بلهفة قدوم الغد المشرق الذي طال انتظاره من جهة، وترجمة غزارة العواطف المتدفّقة من إحساسهما الصادق النّابع من أعماق قلبهما من جهة أخرى.

وبهذا يمكننا القول إنّ الشاعر "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" استطاع أن يصوّر أحوال فلسطين الجريح، الذي يحتّم على العرب الاتّحاد للوقوف في وجه غطرسة المحتل الصهيوني، الذي لطالما حاول سلب الهوية العربية، والخصوصية الحضاريّة، والاستيلاء على الخيرات، واستنزاف الثروات بسيّاساته الملتويّة.

4. خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى استخلاص مجموعة من النقاط يمكن إجمالها فيما يلي:

- الالتزام قضيّة جديدة لمدلول قديم، اقترنت بالأدب العربي منذ نشأته الأولى.
- اهتمام الشّاعر بقضايا وطنه وأمته واضح جلي لمن يطالع الديوانين.
- وضعنا الشّاعر وجها لوجه أمام قضية جوهرية تتمثل في ضعف الأمة العربيّة، مقدّمًا لنا أمثلة حيّة عن غدٍ مشرق مليء بالتفاؤل والأمل.
- امتيّاز اللغة الشعريّة بالجمالية الفنية في تصوير الأحداث، وفق قوالب انزياحية مستوحاة من عوالم اللغة المجازية.
- لم يكن الشّاعر قوميًّا عروبيًّا بقدر ما كان مسلما يدافع عن وطنه وقيمه، وقضايا أمّته الدامية.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم.

1. محمد الأخضر عبد القادر السائحي، اقرأ كتابك أيها العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
2. محمد الأخضر عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
3. أحسن مزدور، الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005.
4. أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
5. جان بول سارتر، الأدب الملتزم، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط2، 1967.
4. حنّا مينه والعطّار نجاح، أدب الحرب، منشورات وزارة الثقافة 6.
5 . عبّاس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار 7.

الشروق للنشر والإرشاد القومي، دمشق، دط، 1976. والتوزيع، عمان، والمركز العربي لتوزيع المطبوعات، بيروت، ط2، 1992

6. فقيه يونس، ملامح الالتزام القومي في شعر نزارقباني، دار بركات للطباعة والنشر، لبنان ، ط1، 1998.
7. مالك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر 1830-1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،ج1، د.ط، 2009.
8. محمّد مصايف، دراسات في الأدب والنقد، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دط، 1988.
9. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.
10. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار المأمون، ط4، 1938، باب (الميم).

11. 3. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار القلم، بيروت، ط1، .1974.
12. 4. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج15، ط5، ج12، 1956.
13. آسيا متلف، مقاربة أسلوبية لتيمة الجبل في شعر الثورة التحريرية، نشيد جزائرنا لمحمد الشبوكي أنموذجا، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة الشلف، ، الجزائر، ع السادس،2014.
14. عبد الحكيم بن راشد الشبرمي، عماد الدين خليل حياته وراؤه النقدية، مذكرة ماجستير غير مخطوطة، كلية اللغة والآداب، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.

5. هوامش البحث:

[1] أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص14.

[2] عبد الحكيم بن راشد الشبرمي، عماد الدين خليل حياته وراؤه النقدية، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة والآداب، جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص20.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج15، ط5، ج12، 1956، ص541-542.

[4] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار المأمون، ط4، 1938، باب (الميم)، ص175.

[5] مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار القلم، بيروت، ط1، 1974، ص79.

[6] سورة الفتح، الآية 26.

[7] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص31.

[8] أحمد أبو حاقة، مرجع سابق، ص14.

[9] جان بول سارتر، الأدب الملتزم، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط2، 1967، ص44 -45.

[10] المصدر نفسه، ص46.

[11] أحمد أبو حاقة، مرجع سابق، ص14.

[12] ينظر: عبّاس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، والمركز العربي لتوزيع المطبوعات، بيروت، ط2، 1992، ص156.

[13] فقيه يونس، ملامح الالتزام القومي في شعر نزارقباني، دار بركات للطباعة والنشر، لبنان ، ط1، 1998، ص21.

[14] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983، ص07.

[15] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص7-8.

[16] أحسن مزدور، الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص41.

[17] حنا مينه والعطّار نجاح، أدب الحرب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دط، 1976، ص34- 35.

[18] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، اقرأ كتابك أيها العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص 34.

[19] آسيا متلف، مقاربة أسلوبية لتيمة الجبل في شعر الثورة التحريرية، نشيد جزائرنا لمحمد الشبوكي أنموذجا، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة الشلف، ، الجزائر، ع السادس،2014، ص135.

[20] عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر 1830-1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ج1، د.ط، 2009، ص 396.

[21] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، اقرأ كتابك أيها العربي، ص19.

[22] أحسن مزدور، الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث، ص105.

[23] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص21.

[24] المصدر نفسه، ص 130.

[25] محمد الأخضر عبد القادر السائحي ، من عمق الجرح يا فلسطين، ص103، 104.

[26] محمّد مصايف، دراسات في الأدب والنقد، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دط، 1988، ص79.

[27] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين ، ص 129.